قلعة بن شكبان
وسقوط الدولة السعودية الأولى

د/ سعيد بن علي بن عبد الله الشهراني.
(أستاذ مساعد بقسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة بيشة)

الملخص :

تهدف هذه الدراسة قلعة بن شكبان التي لها دور بارز وارتباط وثيق في سقوط الدولة السعودية الأولى حيث حرص محمد علي باشا وقادته على إسقاطها وهذا يعتبر أسلوب حربي دقيق من أجل إنهاء الإمدادات التي كانت تصل الدولة السعودية الأولى وبذلك قطع ما يعرف بالإمداد والتموين ثم بدأ في إسقاط الدرعية آنذاك. واتبع محمد علي باشا أسلوب موحد مع جميع قلاع الدولة السعودية الأولى بما فيها قلعة بن شكبان، حيث ضرب حصاراً مطولاً على هذه القلعة ورغم المقاومة العنيفة التي أبداها رجال بيشة في ذلك الوقت لكنهم لم يستطيعوا الصمود أمام قذائف المدافع العثمانية التي تفوقهم في العدد والعدة كذلك.

والحدود المكانية للدراسة تشمل قلعة بن شكبان في بيشة ومشاركات بن شكبان مع جيوش الدولة السعودية كما ركزت الدراسة وتناولت مواضيع مختلفة من خلال عناصر ثلاث وهي موقع ووصف قلعة بن شكبان ومواقف بن شكبان مع الدولة السعودية وبعد ذلك الحملات العثمانية على قلاع بيشة وختم البحث بخاتمة وأرفق بهذا البحث قوائم بالمصادر والمراجع وبعض الملاحق .

الكلمات الاستدلالية : قلعة بن شكبان ، بيشة ، الدولة السعودية ، الدولة العثمانية .

ABSTRACT

The current study aims to identify the castle of Ibn Shaqban, which had a prominent role and a close connection in the fall of the First Saudi State, as Muhammad Ali Pasha and his leaders were keen to bring it down. This is a precise method of warfare in order to end the supplies that were reaching the FIRST SAUDI STATE, thus cutting off what is known as the supply & logistics and then starting to bring down Diriyah at the time. Muhammad Ali Pasha followed a unified method with all castles of the first Saudi state, including the castle of Ibn Shaqban, where he imposed a prolonged siege on this castle, and despite the severe resistance shown by the people of Bisha at that time, they could not withstand the shells of the Ottoman cannons, which exceeded them in number and equipment as well.

The spatial boundaries of the study include the castle of Ibn Shaqban in Bisha and Ibn Shaqban's participations with the armies of the Saudi state. The study also focused and dealt with various topics through three items, which are the location and description of the castle of Ibn Shakqban, Ibn Shaqban's situations with the Saudi state, and then the Ottoman campaigns on the Bisha castles.

The research concluded with a conclusion, bibliography and some appendices.

KEYWORDS: Castle of Ibn Shaqban, Bisha, the Saudi state, the Ottoman Empire

مقدمة :

هذه الدراسة ذات المنهج الوصفي التاريخي تهدف إلى الكشف عن دور قلعة بن شكبان في بيشة مع الدولة السعودية وموقف الدولة العثمانية العدائي لبيشة خلال حكمها لمنطقة الحجاز منذ عهد الدولة السعودية الأولى ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م حتى خروج الأشراف ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م .وموقف الدولة العثمانية تجاه القلعة يعتبر المحور الأساسي لهذه الدراسة ، وكذلك بيان موقف حكام القلعة ال شكبان مع قادة الدولة السعودية الأولى وقد لعبت قلعة بن شكبان دوراً بارزاً وكبيراً في إمداد الدولة السعودية بالعديد من القادة والمقاتلين في حروب الدولة السعودية ولعل هذا من أهم الأسباب لهذه الدراسة حيث أن بيشة كانت ولازالت بوابة نجد الجنوبية ، ومفتاح الجنوب وعسير وكذلك اليمن .

وقد شملت الدراسة ثلاث عناصر :

العنصر الأول : تناولت الدراسة قلعة بن شكبان الموقع والسكان وبيان ذلك النسيج الاجتماعي في فترة الدراسة ووصف القلعة ميدانياً.

أما العنصر الثاني : فقد تناول ال شكبان ودورهم في حروب عهد الدولة السعودية وكيف دخلت بيشة في حكمهم ثم مواقفها مع الدولة السعودية بمراحلها المختلفة .

وقد تناول العنصر الثالث : هجوم الدولة العثمانية على قلعة بن شكبان ومحاولة الحد من نفوذها وتقديم الإمدادات والمساعدات للدولة السعودية باعتبارها منطقة زراعية غنية بالعديد من الموارد الاقتصادية التي كانت في فترة من الفترات سلة غذائية مهمة للدولة السعودية .

ولقد استقيت البحث والمعلومات التاريخية من مقابلات مع أسرة ال شكبان والوقوف ميدانياً على القلعة وكذلك عدد من الدراسات السابقة ومنها على سبيل المثال والتي تعتبر قريبة من بحثنا هذا:

١) كتاب بيشة، للدكتور صالح بن عون الغامدي ،١٤١٨هـ، هو كتاب درس المنطقة دراسة تاريخية شاملة عرضت لبيشة وتم الاستفادة منه في ذكر بعض الوثائق العثمانية التي ذكرت بيشة.

٢) مجموعة كتب تاريخية لمؤلف بيشة محمد بن جرمان العواجي وهي الآثار في محافظة بيشة وتاريخ بني خثعم، وبيشة، وهذه الكتب تناولت بيشة بشكل عام وبعض الآثار فيها وكذلك العصور الجاهلية والإسلامية المبكرة، ولكنها لم تتطرق لحملات الدولة العثمانية إلا في مواضع بسيطة.

٣) مشاري بن علي الصعيري، قبيلة بني سلول، وهذا المؤلف تكلم عن القبيلة بحد ذاتها وتاريخيها ومواضعها ومشاهير القبيلة، ويمكن الاستفادة من هذا الكتاب من مشاركة الشيخ عامر الصعيري في حروبه ضد حملات الدولة العثمانية.

٤) سعد بن عمر، مذكرات عن بيشة، جمع المؤلف ما كتب عن بيشة من خلال كتب الرحالة الغربيين أمثال فلبي، وتاميزيه وغيرهم، ولايمكن الاستفادة من الكتاب خاصة بوجود الكتب الأصلية ومطبوعة ومترجمة.

وختم هذا البحث بخاتمة تحدثت عن أبرز النتائج التي يمكن الاستفادة منها من هذا البحث وبعض التوصيات.

أولاً: قلعة بن شكبان الموقع والسكان والوصف:

•الموقع:

عندما يريد الباحث تناول أي منطقة فمن الضروري الكتابة والتعريف بالأحوال الجغرافية فيها ، وقد حدد الباحث منطقة جغرافية تقع في المملكة العربية السعودية وبالتحديد في الجنوب الغربي منها في حدود منطقة عسير الإدارية (أنظر عسير بالنسبة للمملكة في الملاحق)، وسيتم دراسة الحدود الجغرافية لهذه القلعة بمحافظة بيشة (خريطة محافظات منطقة عسير)، وبيشة تعتبر من المراكز القديمة التي ذكرت في أمهات الكتب مثل المسالك والممالك لابن خرداذبه، وكتاب رحلة ابن جبير كما ذكرها البكري في كتابه معجم ما استعجم، ووصفها الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب ووصف معدن بيشة في كتابه الجوهرتين، وأغلب هذه الكتب وغيرها وصفت بعض المناطق أو الأماكن التي تخص حدود الدراسة.

وفي العصر الحديث تعتبر المنطقة مركزاً هاماً في شمال منطقة عسير وهو يتبع إدارياً لإمارة منطقة عسير ومقر إمارتها أبها وكانت قبل ذلك تعتبر من الإمارات التابعة للعارض وأهم قراها قلعة بيشة (فؤاد حمزة:١٩٣٣: ٦٧).

وقد احتلت قلعة بن شكبان مكانة جغرافية مميزة منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، وكان لها دور كبير في تقديم المساعدات والمعونات للدولة السعودية، حيث إنها اشتهرت ولا زالت مشتهرة بزراعة النخيل منذ فترات زمنية بعيدة من عهد الدولة العباسية، وقد استفادت منها الدولة وكذلك المناطق القريبة من بيشة في الجنوب أو الشمال أو الغرب والجنوب الغربي جهة وادي ترج المشهور بزراعة أجود أنواع نخيل الصفري .(١)

ويحد قلعة بن شكبان من الشمال (الرفايع)،والحدود الجغرافية لقلعة بن شكبان من الجهة الشرقية فيأتي طريق الرين الرابط بين الرياض وخميس مشيط في الوقت الحالي والمنطقة الشرقية للقلعة تعتبر مناطق رعوية وصحاري وجبال لا يسكن بها أحد على امتداد ما يقارب من ٩٠ كم باتجاه الشرق.

وتقع بين خطي عرض ٢٠ ١٩ و ١٥ ٢٠ شمالاً وخط طول ٤٠ ٤١ و ٠٠ ٤٣ شرقاً وهي في النطاق الإداري وبتحديد (GPS) بين ١٩ ٥٩ و ٤٤ درجة طول ٢٣ ٣٦ ٤٢ (إمارة منطقة عسير، ١٩٩١م، ١٢).أما من الجنوب لمنطقة الدراسة فيحدها بيشة(خريطة منطقة عسير في الملاحق) ومركز الدحو في الوقت الحالي ويسكنه قبائل الرمثين من شهران وفيه مركز ورئيس المركز منيس بن سلطان بن منيس بن شكبان لهذا العام ١٤٤٤هـ ومشيخة قبائل الرمثين في سلطان بن منيس بن شكبان ومن القرى التابعة قبلياً لشيخ قبائل الرمثين :

مركز الدحو ويسكنه قبيلة بنى سهم والتي ينتمى اليها شيخ شمل قبائل الرمثين شهران اهالي بيشة (وهذا المسمى الرسمي لمنصبه وفق الامر السامي الكريم) الشيخ سلطان بن منيس بن شكبان.

قرية الرقيطاء وتوجد بها قلعة ابن شكبان التاريخية ويسكنها قبيلة الجربان الرمثين وكذلك قبيلة بني عمر الرمثين.

قرية الحريرة ويسكنها قبيلة البوادنة الرمثين وبعض من قبيلة بنى عمر الرمثين.

قرية الحمه ويسكنها قبيلة الحمه الرمثين.

قرية قنيع ويسكنها قبيلة السرعا الرمثين.

قريةبالشوك ويسكنها قبيلة اهالي بالشوك الرمثين.

قرية الصبيحي ويسكنها قبيلة الشهاريه الرمثين.(مقابلة مع الأستاذ، حمد بن منيس بن شكبان ، ١ يوليو ، ٢٠٢٢م).

ولعل السبب الرئيس الذي يرى الباحث عدم وجود سكان في هذه المنطقة هي بسبب الخلافات القبلية والصراعات التي كانت تدور في هذه المنطقة بين قبائل بن شكبان الرمثين من شهران وقبائل قحطان، ولذلك بقيت قفاراً وخالية من السكان حتى وقتنا الحاضر مع وجود بعض التقارب في بعض المناطق التي لا تكاد تذكر، ولعل ما يؤيد هذا الكلام ما ذهب له محمود شاكر صاحب كتاب شبه جزيرة العرب بقوله في عام ١١٩٧هـ غزت قحطان تثليث (بلاد بيشة) وقطعت معظم نخلها (محمود شاكر : ١٩٨١م: ١٥٠).

أما الحدود المكانية الغربية فتمثل الطريق الرابط بين بيشة ورنية في الوقت الحالي وهناك مسافة كبيرة بين القلعة وبين تبالة والجعبة والثنية تمتد الى ٤٠ كم وبيشة وتبالة هي مفتاح اليمن كذلك من الجهة الجنوبية والشرقية (عبدالله بن مسفر: السراج المنير: د.ت.ن:٦٢) وربما أكثر وسبب بقاء المنطقة خالية من السكان ربما يعود لنفس السبب مع المنطقة الشرقية ولكن أهل المناطق الغربية أقل ضراوة من أهل الشرق.

وقد وصف ابن المجاور هذه المنطقة بقولة " قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر كل قرية منها مقيمة بأهلها"(ابن المجاور:١٩٩٦م: ٤٩).

- **السكان :**

في عهد الدولة السعودية سكن قلعة بن شكبان أحد قادة الدولة السعودية الأولى (سالم بن شكبان) (عبدالله العثيمين : ٢٠١٤م : ١٤٩) وهو من الرمثين من قبائل شهران وفيهم مشيخة قبيلة الرمثين منذ عهد الدولة السعودية الأولى حتى اليوم ويرى الباحث أن سالم بن شكبان هذا هو الجد السادس أو الخامس لآل شكبان الحاليين (مقابلة مع الأستاذ، حمد بن منيس بن شكبان ، ١ يوليو ، ٢٠٢٢م).

ويتكون سكان بيشة من خليط من مجموعة قبائل سكنت المنطقة في فترات زمنية مختلفة(٢). وهذه تعتبر القبائل التي سكنت بيشة على فترات زمنية مختلفة وكونت مجتمع بيشة في عهد الدولة السعودية ولكن مع تطور الوضع الاقتصادي الجيد والاستقرار توافدت على بيشة أجناس وقبائل مختلفة وكونت مجتمع جديد وتركيبة سكانية جديدة كذلك مناطق السكن اختلفت عن السابق ولكن ليس كثيراً فهناك قبائل من غامد ، وبني شهر ، ،بني عمر ، وبلقرن ،وشمران ، والدوسر ، وبني هاجر ، وجهينة ، وقبائل من قحطان ، ومن وجهة نظري أن السبب الرئيس في قدوم هذه القبائل لبيشة يتركز في عدة أسباب رئيسية ومنها قرب المنطقة من مراكز هذه القبائل المحيطة ببيشة والسبب الثاني افتتاح المدارس وثم المعاهد والكليات في بيشة في عهد الدولة السعودية الثالثة وتعتبر كذلك أول إمارة في المنطقة الجنوبية والغربية هذه الأسباب مجتمعة جعلت مجتمع بيشة القبلي يكون

٢ فبعضها ذكره الهمداني(الهمداني :١٤١٠هـ : ٢٥٨) في كتابه ومنهم خثعم وقبائل أكلب ومعاوية وجزء من قبائل شهران بل أن المنطقة (بيشة) ليست المدينة المركز ولكن المحافظات والمناطق التابعة لها عرفت فيها العديد من أيام العرب في الجاهلية مثل يوم فيف الريح ، ويوم العرقوب ، ويوم رنية وغيرها من أيام العرب ،ثم قدم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من الوفود منها وفد جرير بن عبدالله البجلي ،ووفد قبائل باهلة وغيرهم (ابن سعد ، الطبقات الكبرى :د.ت.ن:٣٠٧)وكذلك من قبائل شهران في بيشة قبيلة بني واهب وشيخها الفويه وله مراسلات مع الدولة السعودية في فتراتها الثلاث بل كان منهم من حمل الراية في معارك الدولة السعودية الثالثة سواء في عسير أو تهامة ولديهم بيارق من الملك عبدالعزيز لازالت لدى البعض منهم حتى يومنا هذا(مشاهدات الباحث) ومن قبائل شهران كذلك بني سلول وينسبون الى بنو مرة بن صعصعة بن معاوية ولهم منازل مختلفة على مدى العصور المختلفة وفي الوقت الحاضر يسكنون في الروشن والنقيع والجريف (مشاري بن عامر الصعيري: ١٤٣٢هـ : ٣٦ ،٣٧). ومن قبائل شهران كذلك قبيلة بني منبه وهي تسكن على ضفاف وادي بيشة (وتسمى بيشة أبن عمير) في واعر والشط وعرمان والحازمي والمجمعة والباقرة وبالشوك . ومن القبائل التي تسكن بيشة كذلك قبيلة معاوية ومشيخة القبيلة في آل لزهر وهم يسكنون في نمران وصوفان والحرف ونفجان ومسلية (صالح عون الغامدي:١٤١٨هـ : ٣٢) ومن القبائل كذلك قبيلة بالحارث وهم يسكنون على ضفاف وادي ترج بفروعه المختلفة مثل حوران والغفرات وغيرها، وهناك كذلك قبيلة أكلب من القبائل التي تسكن بيشة وهم فروع مختلفة ولهم منازل على أودية ثلاثة جزء منهم على وادي بيشة ووادي تبالة والآخر على وادي رنية في قرى متعددة وقبائل مختلفة وكلهم يعودون إلى قبيلة أكلب الأم (محمد بن جرمان العواجي: ١٤١٨هـ : ٢٤٢ ،٢٤٣).

. ومن القبائل كذلك قبائل المحلف وتشمل أهل الحيفة الجدران والدعارمه وأهل النغيلة من النزارية وأهل المدراء من قبيلة الجهوم وآل مهدي في روشن المهدي وكذلك بنو عامر (صالح عون الغامدي:١٤١٨هـ : ٣٢)

خليط من هذه القبائل والقبائل الوافدة والتي تكون فيما بينها صلات نسب وتقارب في الفترة الحالية.

وصف القلعة:

بناء على مشاهدات الباحث ووقوفه مع هيئة التراث بتاريخ ٤ – ٨ –١٤٤٣ه وجد أن القلعة عبارة عن قلعة تميل إلى أن تكون مربعة الشكل تتكون من حوالي ٢٠ غرفة ، ويحيط بها خندق كبير ربما كان فيه المياه التي تحول دون الوصول للقلعة " ويبلغ عرضه حوالي خمسة أمتار ويبلغ عمقه ثلاثة أمتار " (مسفر الخثعمي، ٢٠٠٩م:١٤٨) .ثم بعد ذلك سور عظيم يصل ارتفاعه إلى أكثر من أربعة أمتار "ويسمى السور الخارجي" (مسفر الخثعمي، ٢٠٠٩م:١٤٨) ، وفي القلعة برجين حماية من الجهة الشرقية لازالت واضحة للعيان وفي المنطقة الشمالية برج مراقبة وبوابة دخول لها حماية بطريقة حربية وكسرات يصعب الدخول لها بعد تجاوز الخندق وأمام البوابة حجرة أو غرفة وحيدة لا يعرف ماهي استخداماتها ويعتقد الباحث أنها ربما كانت مخزناً للأسلحة وكذلك مربطاً للخيل ،ربما توضع فيها بعض الأرزاق ، وفي الجهة الجنوبية الغربية قصر حاكم القلعة بن شكبان وأسرته ومرافقها المختلفة وفي الجزء الغربي من القصر برج للمراقبة وفي الجهة الجنوبية بناء مربع الشكل يعتبر برج لمراقبة القلعة من الجنوب وسكن لحراس القصر والعاملين فيه ، ويوجد داخل القصر من الجهة الجنوبية الشرقية بئر يتم استخدامها عند الحصار ليكون هناك اكتفاء ذاتي لأهل القلعة ويصعب على الغزاة الدخول إليها وبذلك يكون امتداد اطوال القلعة بأضلاعها المختلفة حوالي ٢١٠م طولي كما في الصور التالية:

(الصورة من إعداد مكتب هيئة التراث ببيشة):

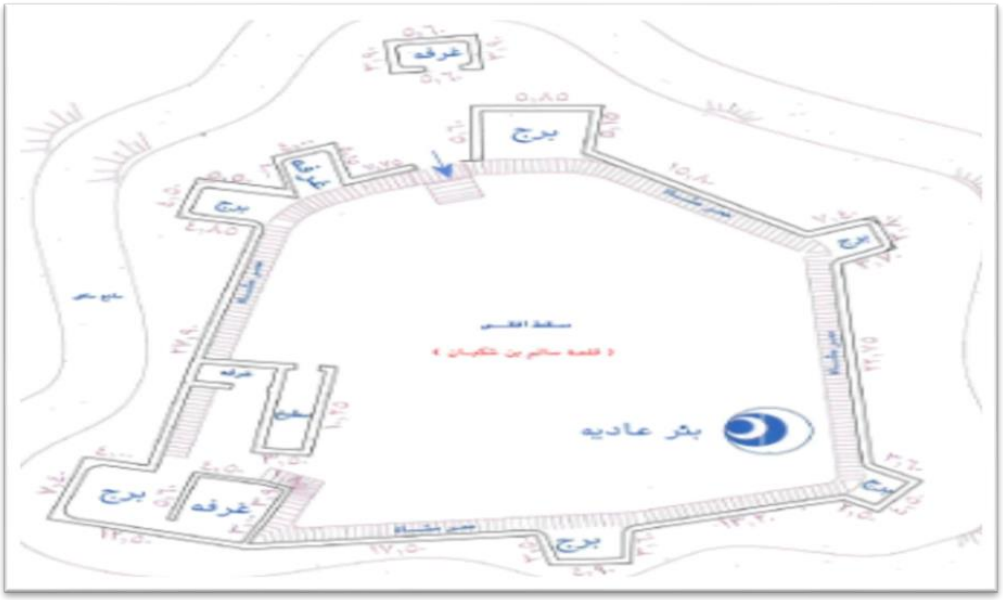

الصور التالية من إعداد الدكتور (حامد محمد الشهراني) وهي صور تخيلية للقلعة (سكتشات):

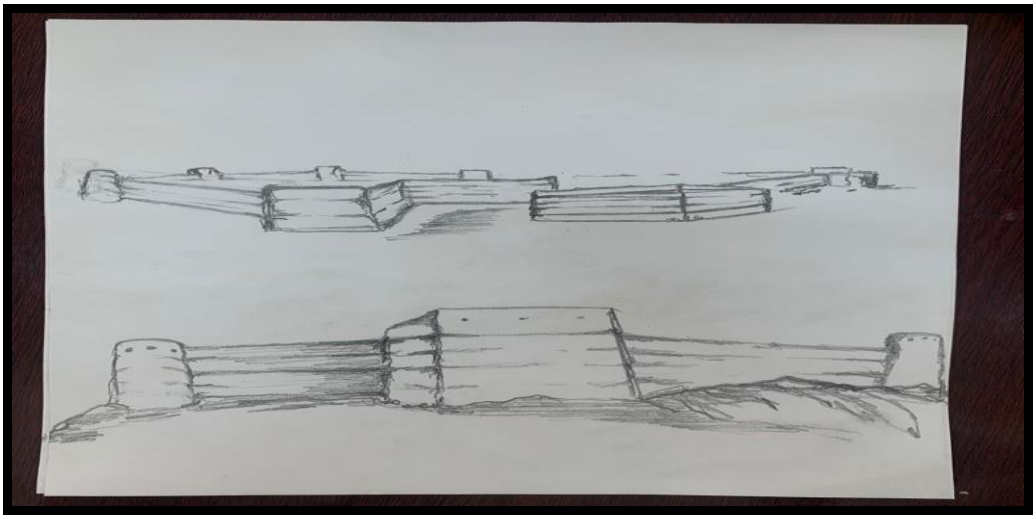

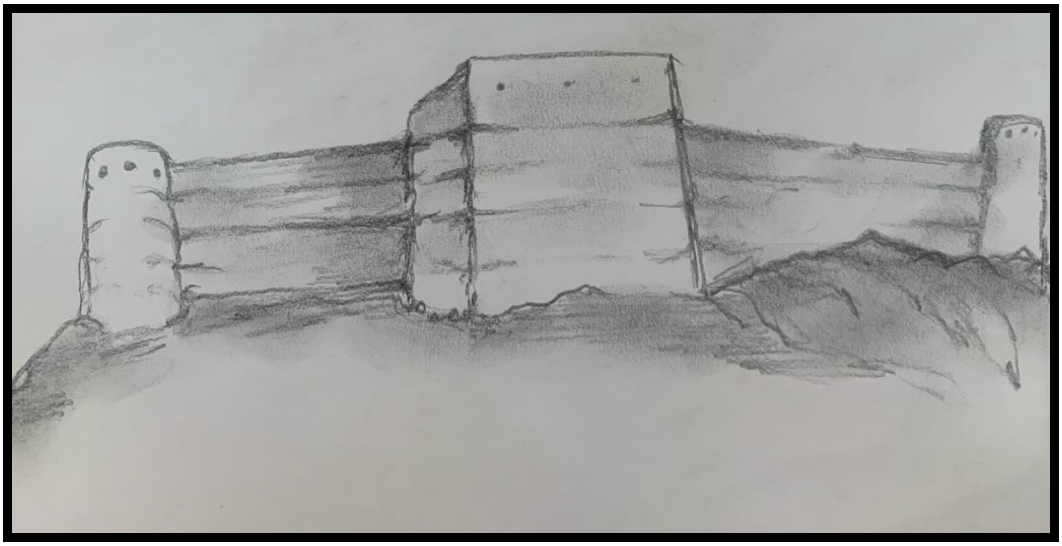

صور للقلعة حديثة ٢٠٢٢ م :

تابع صور للقلعة لعام ٢٠٢٢م :

ثانياً : قلعة بن شكبان ودخولها في حكم الدولة السعودية الأولى ودورها في توحيد البلاد :

الدولة السعودية الأولى وبعدها الثانية ثم الثالثة جميعها كانت تتطلع الى الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية بعد تأمين شمال نجد وشرقها وتضمه تحت حكمها، وأصبحت الحاجة ملحة لإدخال بيشة تحت حكم الدولة وذلك للأسباب التالية من وجهة نظر الباحث:

1 . لموقعها المميز حيث تعتبر بوابة نجد الجنوبية وكذلك مفتاح لعسير واليمن.

2 . تمتاز بمكانة اقتصادية كبيرة خاصة أنها مشهورة بزراعة النخيل والحبوب بكميات وفيرة .

3 . يكن أهل المنطقة بشكل عام وبيشة بشكل خاص الولاء لحكام الدولة السعودية .

4 . عند تولي حاكم للمنطقة فذلك يؤدي إلى إنهاء النزاعات بين قبائل المنطقة فأهل الرقيطاء ربما يتعرضون للغزاة من الشرق أو الغرب للبحث عن الكلأ والماء وكذلك التمور والمحاصيل الزراعية.

5 . إذا لم يكن هناك حاكم فسيخلق فوضى سياسية بالمنطقة.

كل هذه الأسباب مجتمعة سواء دافع شخصي من حكام البلاد أو دوافع أخرى من سكان القلعة وغيرها من المناطق الأخرى مهدت الطريق لحكام الدولة السعودية ففي عهد الدولة السعودية الأولى دخلت بيشة تحت حكم الدولة عندما أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ربيع بن زيد من الدواسر عام ١٢١٢هـ /١٧٩٧م إلى بيشة والجنينة وهي قرية تقع شمال بيشة (علي إبراهيم الحربي: ١٤١٨ه: ٤٠٦،٤٠٧) ، وتمكن من دخولها بعد حصارها وبايع أهل بيشة على دين الله ورسوله والسمع والطاعة (صلاح الدين المختار: د. ت .ن:٦٧) وسبق ذلك أن أمير الدواسر ومعه جيش كثيف من الدواسر غزا عربان من شهران- المراد هنا صاحب القلعة ابن شكبان وقبائل شهران المحيطين به -وغنم منهم وقتل منهم أناس كثير في عام ١٢١١هـ /١٧٩٦م (عثمان بن بشر:١٤٢٠ه : ٢٠١) ومنذ ذلك التاريخ ١٢١٢هـ /١٧٩٧م أصبحت قلعة ابن شكبان تحت حكم الدولة السعودية الأولى وشاركت في العديد من الحروب بقيادة شيوخها مثل ابن شكبان وغيره في منطقة عسير وكذلك نجران ووصل الأمر إلى المشاركة في مهاجمة الأشراف في

الطائف فنلاحظ أن أهل بيشة كانت لهم مشاركات عديدة ،ولكن قبل ذلك هاجم الشريف فهيد بن عبدالله بيشة مما جعل الإمام يرسل ربيع بن زيد مرة ثانية إلى بيشة عام ١٢١٣هـ /١٧٩٨م وتمكن من إدخالها تحت حكم الدولة السعودية .

ومن مشاركات بيشة التي ذكرناها سابقاً في حروب الدولة السعودية الأولى :

١) المشاركة عام ١٢١٥هـ /١٨٠٠م مع قوات الأمير عبدالوهاب بن عامر أبو نقطة ومعه قبائل عسير وقحطان وشهران وبلغ عددهم ٢٠ الف في حروبهم في تهامة (عبدالله بن علي بن مسفر :١٤٢٠ه: ٣٥).

٢) المشاركة في عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م بقيادة سالم بن شكبان مع قوات عثمان المضايفي ، وعبدالوهاب أبو نقطة ، وأمير صبيا الشريف منصور في منازلة الاشراف في مكة المكرمة والالتقاء بهم في الطائف ولكن في هذه الاثناء عند رجوع ابن شكبان لبيشة توفي متأثراً بمرض الجدري وعين الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ابن سالم ويسمى فهاد بن سالم بن شكبان أميراً على بيشة في نفس العام (عبدالله بن علي بن مسفر :١٤٢٠: ٤٩).

٣) المشاركة كذلك في عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م مع نفس القادة المذكورين في ثانياً عندما أراد الإمام سعود بن عبدالعزيز الحج فوجههم إلى مكة المكرمة، وشاركوا في إخراج من في مكة من السكان الاتراك (عبدالله بن علي بن مسفر :١٤٢٠ه: ٥٣).

٤) المشاركة عام ١٢٢٤هـ /١٨٠٩م مع قوات الإمام سعود بن عبدالعزيز لمهاجمة قوات الشريف حمود في وادي بيش وانتصرت فيها قوات الدولة السعودية وقتل فيها عبدالوهاب أبونقطة وتولى القيادة طامي بن شعيب .

٥) في عام ١٢٢٥ هـ ١٨١٠م قام ابن شكبان بحملة بنفسه ضد الشريف حمود في أبو عريش ووصل الى وادي ضمد ثم عاد إلى بيشة .

٦) في سنة ١٢٣٠هـ /١٨١٥م شاركت قوات بيشة بقيادة فهاد بن شكبان، وقوات عبدالوهاب أبو نقطة، وإبراهيم بن مبارك الدوسري في حصار نجران .

وكان دخول بيشة تحت حكم الدولة السعودية الثالثة منذ عام ١٣٣٨ه/ـ١٩٢٠م وهناك أسباب دفعت الملك عبدالعزيز لإدخال المنطقة تحت حكمها(عبدالله الصالح العثيمين: ٢٠١٤م: ١٧٦) ومنها على سبيل المثال:

١. زيادة قوة ومهابة الملك عبدالعزيز وجيوشه خاصة بعد انتصاره في معركة تربة عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م.

٢. ظهور قوة الإخوان في منطقة عسير في هذه الفترة وحدوث خلافات بينهم وبين الأمير حسن بن عائض، وعدم الوصول إلى حل رغم وساطات الملك عبدالعزيز.

٣. وجود علاقة جيدة بين الملك عبدالعزيز والإدريسي المناوئ لابن عايض .

٤. خوف الملك عبدالعزيز من امتداد نفوذ الشريف حسين للمنطقة .

٥. وجود ارتباط وثيق بين سكان المنطقة وحكام الدولة السعودية منذ عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م.

وكل هذه الأسباب مجتمعة جعلت الملك عبدالعزيز يسير جيشاً لمنطقة بيشة عام ١٣٣٨هـ /١٩٢٠م بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد ،وعند وصوله وجد الأوضاع مهيأة لدخول بيشة تحت حكم الدولة السعودية ،وتبعها دخول عسير كاملة تحت حكم الدولة السعودية بقيادة الأمير ومن انضم إليه من قبائل شهران بيشة وقبائل قحطان (٣).

ثالثاً : قلعة بن شكبان والدولة العثمانية :

ناصبت الدولة العثمانية الدولة السعودية العداء في مراحلها الثلاث ولعل السبب الرئيس بالإضافة إلى الأسباب الأخرى هو وجود الحرمين الشريفين فكانت الدولة العثمانية ترى أن خروج الحجاز هو خروج للقلب من الجسد، فذلك يسبب لها ضربة

٣ ثم ثار ابن عائض في أبها مما جعل الملك عبدالعزيز يرسل جيشاً آخر بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م ووصل إلى بيشة وتقابل مع قبائل بني شهر وتمكن من هزيمتهم (أمين الريحاني :١٩٨٨: ٣٠٢) ودخلت بيشة تحت حكم الدولة السعودية ثم سارت تلك الجيوش ومعها قبائل من شهران وقحطان وغيرهم من قبائل المنطقة وتمكن من إخضاع عسير بالقوة في ذلك التاريخ ، وبهذا أصبحت بيشة ومنطقة عسير تحت حكم الدولة السعودية وهي ترفل في النعيم منذ ذلك الوقت ولله الحمد.

معنوية هائلة في الصميم لأنها تعتبر نفسها حامية الحرمين وتصطبغ بالصبغة الإسلامية البحتة وبخروج مكة أو المدينة المنورة يسبب ذلك إشكالية لها ويهتز نفوذها في العالم الإسلامي .

ويمكن تقسيم قلعة بن شكبان وعلاقتها مع الدولة العثمانية إلى قسمين:

اولاً: قلعة بن شكبان ومعاركها خارج بيشة مع القوات العثمانية.

ثانياً: الحملات العثمانية على قلعة بن شكبان.

سنعرض هنا في تسلسل تاريخي المواجهات بين القوات العثمانية وقلعة بن شكبان:

١) كانت الشرارة الأولى في عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م عندما ادخل ربيع بن زيد الدوسري بيشة تحت حكم الدولة السعودية في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وذلك لم يكن يروق لصاحب مكة الشريف غالب فلذلك أرسل إلى بيشة الشريف فهيد بن عبد الله الشريف ودخل بيشة وقام بمحاصرتها ثم قطع النخيل وهذا يمثل إشكالية كبيرة لدى المزارع باعتبار أن هذه النخلة تشبه أحد أولاده في المحبة ، مما جعل أهل بيشة يستسلمون ويدخلون في طاعته، وقتل منهم رجال (عثمان بن بشر: ١٩٩٩م: ٢٠٢).

٢) تبع ذلك في عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م عندما أراد الإمام سعود بن عبدالعزيز الحج فقد وجه القوات في الجنوب وتمثلت في عدد من القادة وكان من ضمنهم القوات البيشية وقائدها سالم بن شكبان وهو ضمن عدد من القادة من منطقة عسير ومرت هذه الحملة بعدد من المراحل وهي :

أ- الأمر لها بمنع محمل الحج الشامي إذا دخل مكة محارباً.

ب- حدوث مفاوضات بين الشريف غالب وعبدالرحمن بن ناصر من علماء نجد في معسكر المضايفي(إبراهيم محمد الزيد : ١٤٠٨هـ: ٨٥).

ت- دخول الشريف غالب في طاعة الإمام سعود بن عبدالعزيز وعقد المصالحة معه.

ث- تمكن قوات بن شكبان ومن معهم من دخول مكة المكرمة وأداء الحج والعمرة.

ج- تبادل الهدايا مع الشريف غالب

ح- الإفراج عن الحجاج الشاميين بعد نهاية موسم الحج بقيادة عبدالله باشا العظم.

خ- عودة جميع القوات إلى مواقعها ووفاة سالم بن شكبان متأثراً بالجدري كما ذكرنا، وتولي إبنه فهاد بن شكبان إمارة القبيلة بناء على أمر الإمام سعود بن عبدالعزيز، وقد رثاه العلامة علي الحفظي بالأبيات التالية يمدح فيها الشيخ الذي كان حامياً للدين:

فيا راكبا إن مالقيت ببيشة وما دفعته من ضِراب وفد فد

فسلم على قبر بن شكبان سالم فقد كان قدما قادما كل سيد

يحامي على التوحيد حتى عَرَى له من الحتف كأس جرعة ذو تردد

٣) ومن المواجهات بين القوات العثمانية والقوات البيشية فقد كانت هذه القوات مشاركة في الحج مع الإمام سعود بن عبدالعزيز عام ١٢٢١هـ /١٨٠٦م بقيادة فهاد بن سالم بن شكبان وتمكنت القوات من إخراج من كان في مكة من الاتراك (عبدالله بن علي بن مسفر:١٤٢٠ه: ٥٣) وفي نفس العام عين على قلعة أجياد (فهيد بن شكبان أخو سالم بن شكبان) كما أورد ذلك حفيدهم بناء على وثائق لديه (مقابلة مع حمد بن منيس بن شكبان، ١ يوليو ٢٠٢٢م) ثم تنقل بهم إلى المدينة المنورة وبعد فراغهم من الحج سمح لغزاة اليمن بالعودة إلى أوطانهم.

٤) في عام ١٢٢٥هـ /١٨١٥م زحف محمد علي باشا بقواته من مكة المكرمة إلى الطائف وتقابل مع قوات الإمام فيصل بن سعود بن عبدالعزيز في غزايل(بلدة معروفة بنفس الاسم جنوب الطائف بحوالي ثمانين كيلاً) وتمكن من الانتصار عليهم ، ثم توجه إلى رنية وتمكن من هزيمة قبائل زهران وتوجه إلى بيشة واعترضه فهاد بن شكبان "وبعد دفاع مستميت هزم ابن شكبان" (عبدالله بن علي بن مسفر ، ٦٩) ،ثم توجه إلى تبالة وحاصر قصرها المشهور بقصر بن شعلان وتمكن محمد علي باشا من هزيمة بن شعلان ومقتله وعدد من رجاله في المعركة وبذلك خضعت بيشة وتبالة في هذه السنة لحكم محمد علي باشا، ووردت وثيقة تذكر بأن حكام بيشة الملاعين كماورد على لسان صاحبها في ١٩ صفر ١٢٣٠م/ ٣٠ يناير ١٨١٥م وهذه الوثيقة تصف الوثيقة حملة محمد علي باشا على تربة وبيشة (وثيقة رقم ١٩٥٦٦/ ٣٤٢. HAT). (وهذا رمز الحفظ بالأرشيف العثماني).

٥) في عام ١٢٢٨هـ /١٨١٣م دارت مناوشات بقيادة الشريف مصطفى ومعه الشريف راجح والشريف ابن غالب مع عثمان المضايفي في الطائف وذكر عثمان ابن بشر " أنه ثبت أهل رنية وبيشة وجميع الحجاز اليماني "(عثمان بن بشر: ١٩٩٩ :٢٧٣) ضد قوات الاشراف .

٦) شاركت القوات البيشية جنب إلى جنب مع القوات السعودية في عام ١٢٣٠هـ /١٨١٥م في معركة مشهورة تسمى (معركة بسل) في عهد الإمام عبدالله بن سعود وأبدت القوات البيشية بقيادة ابن شكبان شجاعة منقطعة النظير "فقد شق ابن شكبان مع بضع مئات من الرجال طريقهم عبر مشاة الاتراك جميعهم"(بوركهارت:١٤١٢هـ:،١٧٧) وتمثل ذلك في بعض الأشعار ومنها :

نهار جونا قـــــوم ابن شكبان	**لزموا من الطائف إلى ليه**
والخيل معهم تلعب الحمام	**والريش كاسي كل خمرية**
هج الشريف وصك البيبان	**ماعاد له فينا مشحيه**

ولكن رغم ذلك كله فقد منيت القوات السعودية بهزيمة كبيرة في بسل، وحيث تمخض عن سقوط معسكر الجيش في بسل إلى فقدان معظم المؤن والسلاح تلاها تهاوي المدن الحجازية بسرعة كبيرة.

٧) ونتج عن معركة بسل قيام محمد علي باشا بحملة بنفسه على بيشة في نفس العام وعند وصوله إلى بيشة وأنهزم ابن شكبان وهدم قصره في الرقيطاء (قلعة بن شكبان) ولازالت أثاره باقية حتى اليوم ، وتم تدميرها بالكامل وحرقها(مشاهدات الباحث لآثار الحريق لاتزال حتى اليوم واضحة في أعمدة القصر وسواريه) ، "ونازلوا أكلب، وأطاعوا لهم، ثم ساروا منها إلى تبالة، ونازلوا شعلان أمير الفزع من شمران ورموه بالمدافع والقنابل ،فثلموه (٤) وقتل شعلان وغالب ومن كان معه نحو مئة رجل ،وسلموا لهم بقايا أكلب والمحلف بن مهدي وسلول وغيرهم ولم يبق في بيشة لهم منازع "(عثمان بن بشر:١٩٩٩م: ٣٠١،٣٠٠).

٨) وشاركت بعض القبائل البيشية مع القوات السعودية ومنها مشاركة قبيلة بني سلول بقيادة عامر بن مشاري الصعيري في معركة تربة عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م ضد قوات

[٤] : الثلم في اللغة : ثلم الحائط : أحدث فيه شقاً أو شرخاً .

الاشراف، ومن أبرز من شارك من تلك القبيلة علي بن حبيان السلولي ومحمد بن حسن بن عكان السلولي، وفطيس بن هضبان السلولي ،علي بن محمد الحايل السلولي (مشاري بن علي الصعيري:١٤٣٢ه: ١٢٧).

النتائج والتوصيات :

من خلال ما سبق يتضح لنا عدداً من النتائج المهمة التي توضح الأسباب الرئيسة التي دعت الدولة العثمانية توجه عدداً من الحملات العسكرية ضد قلعة بن شكبان ومنها :

١) تعتبر القلعة ومامعها من القلاع في بيشة مفتاح لمناطق أخرى في جنوب الجزيرة كمنطقة عسير ثم تهامة واليمن بعد ذلك.

٢) تعتبر منطقة بيشة سلة غذاء لأغلب مناطق الدولة في فترة من الفترات وذلك لوجود التمر بكميات كبيرة وتجارية في بيشة حتى قيل (ما وراء بيشة عيشة) وهذا دليل على أن المحاربين كانوا يتزودون من بيشة بالمؤن حيث شمالها منطقة صحراوية لا يوجد بها أماكن للتزود خاصة جهة نجد وكذلك المنطقة الجنوبية لبيشة وهذا شكل هاجس للدولة العثمانية لقطع الإمدادات على جيوش الدولة السعودية خاصة أن الطعام الوحيد سهل النقل ، ووجود فوائد له، هو التمر بأنواعه المختلفة بل وصل الأمر بأن أحد الرحالة وهو تاميزيه (موريس تاميزيه:١٩٩٢م: ٧٢) وصف بيشة بأنها (تشبه مصر ووواديها يشبه النيل وهذا دليل على غزارة المياه فيها) فلذلك شبهها بالنهر العظيم نهر النيل .

٣) كانت قلعة بن شكبان وقلاع بيشة تمثل قوة في الجانب العسكري حيث أن المنطقة تقع على مساحة كبيرة وبها الكثير من المقاتلين وليس أدل على ذلك من تعدادهم فس نعارك نجران حوالي عشرة الاف مقاتل الذين يشكلون مصدر قوة ومدد للدولة السعودية إذا طلبت بمدد، خاصة أن تكوين الجيوش في هذه الفترة تعتمد على القبائل بعدد معين وسلاح معين وركائب، وهذه من السرعة بمكان تجهيزها في فترة بسيطة، فحسب بعض الوثائق هناك خطاب توجيه من الحاكم إلى شيوخ وأعيان بعض القبائل في المشاركة بكذا محاربين وكذا ركائب ومؤن (وثيقة رقم ١١٢-٤٣٨/١١١ محفوظة لدى الباحث) .

٤) الحملات العثمانية تتشابه في نهاياتها بعد حصار المدن فإنها تقوم بهدم هذه المدن وتدمير أسوارها واتضح ذلك من خلال هدم العديد من القصور والقلاع في بيشة مثل قلعة بن شكبان وقصر بن شعلان وعلى شاكلته ما حدث في قصور الدرعية عام ١٢٣٣هـ /١٨١٧م بعد سقوطها على يد إبراهيم باشا ،وقصور أبها، والعديد من القصور في القصيم والرس، وتعتبر هذه سياسة تنتهجها القوات العثمانية المهاجمة بل يمكن

اعتباراها من الخطط الحربية التي تقوم بعملها وذلك لكي يكون الطريق ممهدة لهم لوحدث هجوم في مرة ثانيه فلا يأخذ منهم الوقت في الحصار لتلك الحصون التي يتحصن بها أبناء القبائل .

٥) أن القوات العثمانية غير مهتمة بحضارة تلك المناطق، أو محاولة نشر الثقافة أو التعليم أو إنشاء بعض المدارس، وإنما كان هدفهم عسكرياً صرفاً في الدرجة الأولى.

٦) أن قادة الدولة العثمانية لم يثقوا كثيراً في أبناء البادية ومنطقة بيشة بالأخص حيث لم يتول أي منهم أي منصب بعد دخول بيشة وإنهاء الوجود العسكري.

٧) يتضح لنا أن جميع الحملات العسكرية حتى لو لم يكن هدفها قلعة بن شكبان ولكن لابد من المرور بها.

٨) أغلب الحملات العسكرية على المنطقة الجنوبية تسلك الطريق التجاري أو ما يسمى بطريق الحاج النجدي أو طريق الفيل الذي يمر ببيشة.

٩) كانت الحملات العسكرية تتبع سياسة الأرض المحروقة إذا استعصت عليهم بعض الحصون أو القلاع، فيقوم هؤلاء بحرق النخيل، وعند مشاهدة ذلك ينهار المزارع مباشرة ويستسلم لتلك القوات .

١٠) لم تغير القوات العثمانية في التركيبة السكانية لسكان بيشة على مدى قرنين من الزمان وربما يعود ذلك لتماسك السكان الأصليين أو عدم اهتمامهم بذلك.

توصل الباحث الى بعض التوصيات التي بالإمكان أن تدعم المنطقة مستقبلاً:

١. يمكن أن يوجه طلاب جامعة بيشة بكتابة بحوث تاريخية تتكلم عن الإرث التاريخي للمنطقة في العصور المختلفة التي لم تدرس من قبل خاصة وأنها ضاربة في القدم.

٢. هناك العديد من المناطق التاريخية التي تحتاج دراسة جغرافية محكمة لمعرفة وتحديد الكثير من المواقع التي لازال هناك لغط في تحديد هويتها ومكانها.

٣. يمكن الاستفادة من المنطقة وتوجيهها سياحياً خاصة وأن هناك إرث تاريخي في التاريخ القديم وثقه الأستاذ الدكتور مسفر الخثعمي في كتابه الموسوم ب موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير دراسة توثيقية ، ٢٠٠٩م.

٤. يمكن للباحثين الكتابة عن العلاقات العسكرية بين بيشة وبعض المناطق الأخرى كتهامة أو الطائف وغيرها .

٥. يمكن للباحثين دراسة علاقة ابن شكبان بالمنطقة وهل كان نفوذه محدود على قبيلة الرمثين أم أنه يشمل جميع قبائل بيشة الموجودة في ذلك الوقت .

الملاحق:

خريطة ١: موقع منطقة عسير ضمن مناطق المملكة العربية السعودية الإدارية(*)

(*) تمت مراجعتها واعتمادها من قبل الإدارة العامة للمساحة العسكرية

خريطة رقم (١) موقع عسير بالنسبة للمملكة العربية السعودية (مصدر الخريطة الادارة العامة للمساحة العسكرية).

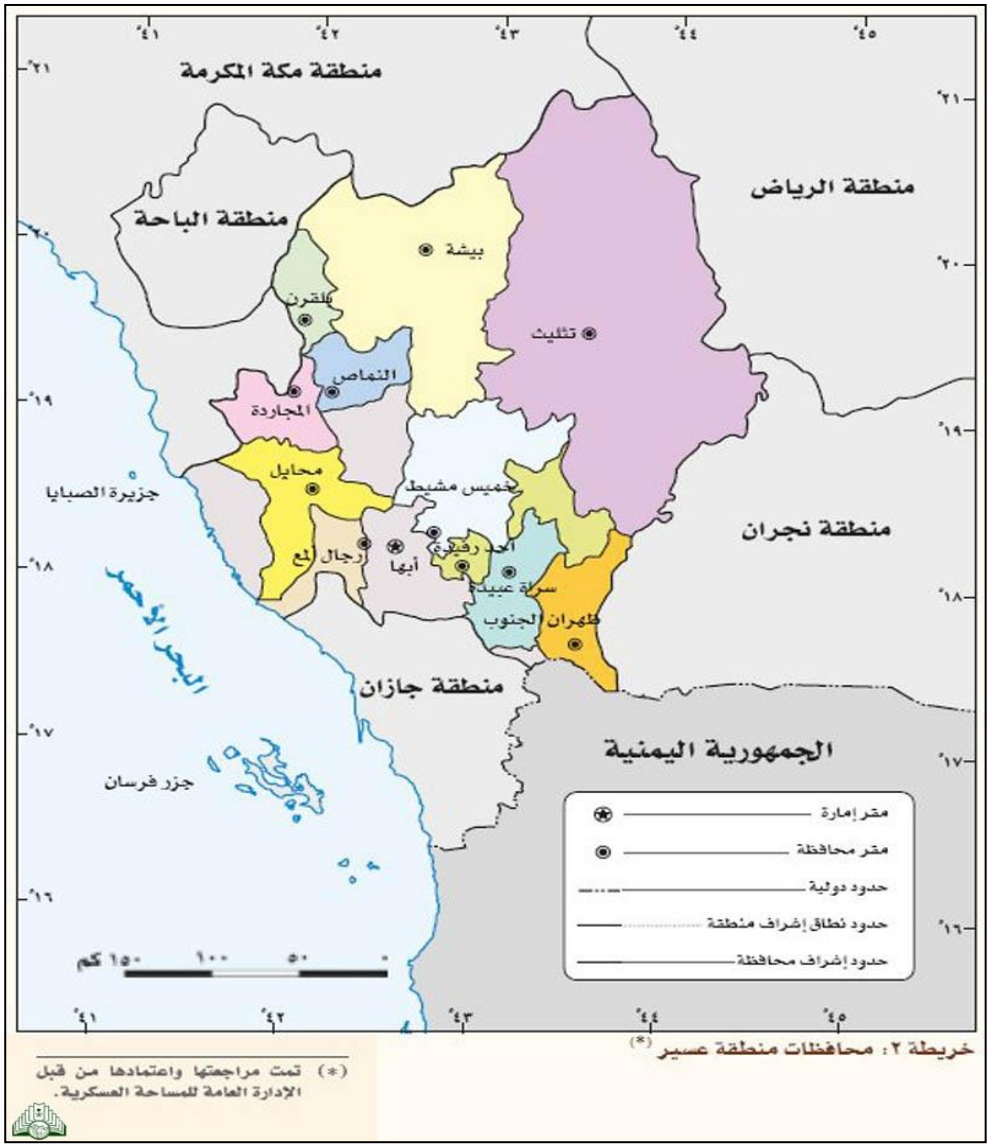

خريطة ٢: محافظات منطقة عسير (*)

(*) تمت مراجعتها واعتمادها من قبل الإدارة العامة للمساحة العسكرية.

خريطة رقم (٢) منطقة بيشة بالنسبة لمنطقة عسير (مصدر الخريطة الإدارة العامة للمساحة العسكرية).

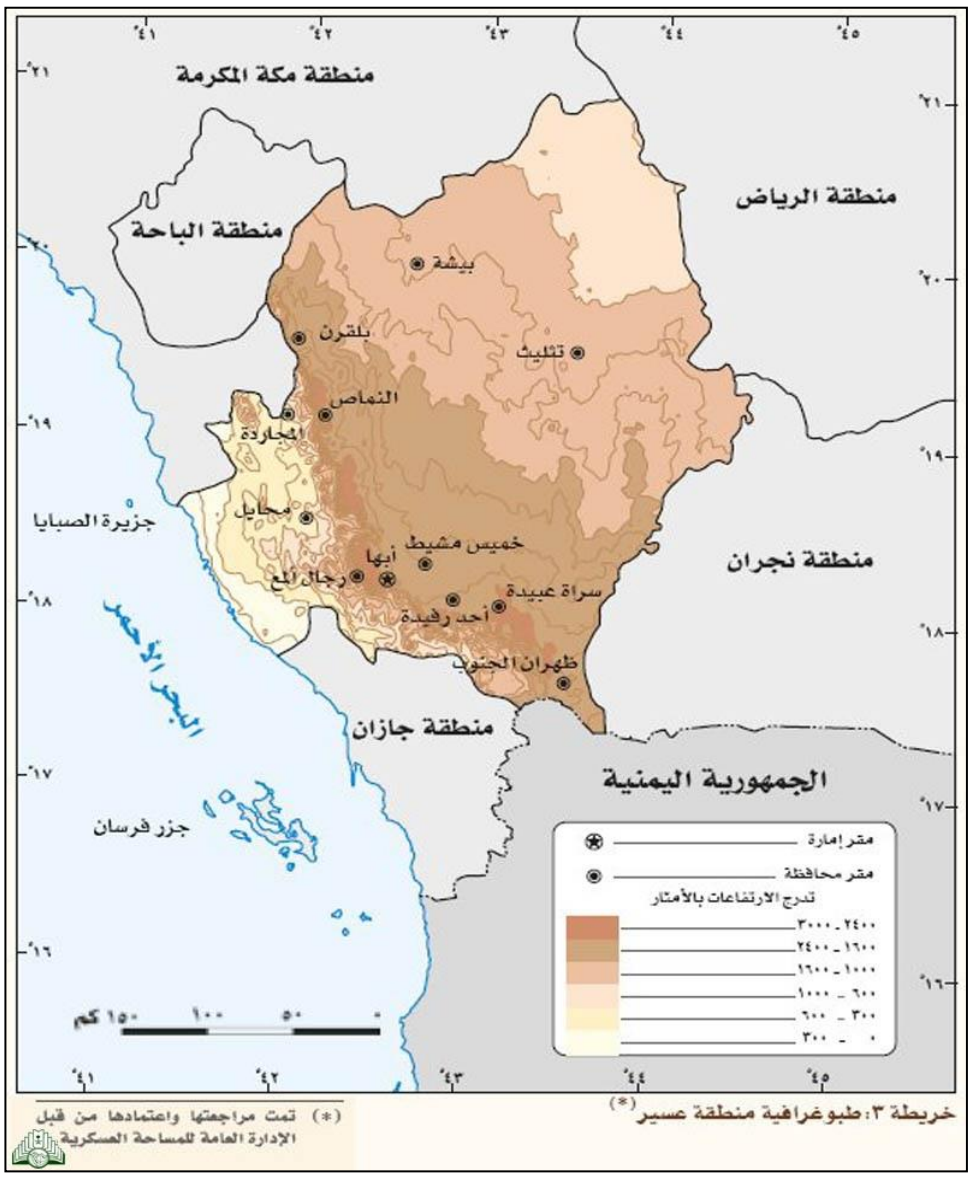

خريطة رقم (٣) طبوغرافية منطقة الدراسة (مصدر الخريطة الإدارة العامة للمساحة العسكرية).

قائمة المصادر والمراجع :

١. الزيد ،إبراهيم محمد ، ١٤٠٨ه، عثمان المضايفي أمير الطائف والحجاز،مجلد١، مركز النشر العلمي، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز.

٢. ابن المجاور، ١٩٩٦م، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة (تاريخ المستبصر) راجعة ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٣. ابن سعد ،د.ت.ن، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، دار بيروت للطباعة والنشر.

٤. العمروي،أبي سعيد عمر بن غرامة ،٢٠٠٤م، منطقة تثليث وما حولها عبد العصور، ط١، دار الطحاوي، الرياض.

٥. إمارة منطقة عسير،١٩٩١م، المسح الميداني، المنطقة الإدارية الخامسة.

٦. إمارة منطقة عسير،١٩٩١م، المسح الميداني للمواقع، المنطقة الإدارية الثانية، خميس مشيط.

٧. الريحاني، أمين ، ١٩٨٨م، تاريخ نجد الحديث ، ط ٦، دار الجيل ، بيروت .

٨. الجمعية الجغرافية السعودية، ٢٠٠١م، دليل المواقع الجغرافية بالمملكة العربية السعودية،ط٢، مكتبة العبيكان، الرياض.

٩. بوركهارت، جوهان لود فيج ، ١٤١٢ه، مواد لتاريخ الوهابيين ،ط٢، ترجمة عبدالله العثيمين .

١٠. الغامدي ،صالح عون ،١٤١٨ه، ج١، بيشة.

١١. المختار، صلاح الدين،د.ت.ن ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

١٢. بن حبيب، ظافر بن سعيد وآخرون، ١٩٩٩م، النماص ومسيرة التعليم، الرياض.

١٣. العثيمين ،عبدالله العثيمين، ٢٠١٤م ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ط ١٧ ، مطبعة العبيكان، الرياض.

١٤. بن مسفر، عبدالله بن علي ،١٤٢٠ه ، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٥. بن بشر، عثمان ،١٩٩٩م، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق الدكتور محمد الشثري، ط ١، دار الحبيب، الرياض.

١٦. الحربي، علي بن إبراهيم ،١٤١٨ه، المعجم الجغرافي للبلاد العربية ، منطقة عسير، مؤسسة الخليفة للطباعة، بيروت، لبنان.

١٧. حمزة ، فؤاد ،١٩٣٣م، قلب جزيرة العرب، دار اليقين، مصر.

١٨. العواجي، محمد بن جرمان، ١٤١٨ه ، تاريخ بني خثعم ، ط ١، دار الحارثي للطباعة والنشر ، الطائف.

١٩. شاكر، محمود ،١٩٨١م، شبه جزيرة العرب (١) عسير، ط٣،المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٠. الصعيري، مشاري بن عامر،١٤٣٢ه، قبيلة بني سلول ، الدار الخالدية ، جدة .

٢١. تاميزيه، موريس ،١٩٩٢م، رحلة في بلاد العرب الحملات المصرية على عسير ١٨٣٤م،ترجمة محمد آل زلفة ، مطابع الشريف، الرياض.

٢٢. الهمداني ،١٤١٠ه، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع،ط١، مكتبة الارشاد ، صنعاء.

الوثائق :(ماهي بيانات هذه الوثائق كاملة مذكرات أو تقارير أو مراسلات ..إلخ ، ومن المهم إيرادها ملاحق طالما ليست متاحة في مكان آخر)

وثيقة رقم ١١١/ ٤٣٨ محفوظة لدى الباحث .

وثيقة رقم ١١٢/ ٤٣٨ محفوظة لدى الباحث .

وثيقة رقم ٤٣٨/١٨٥ محفوظة لدى الباحث.

وثيقة رقم ١٩٥٦٦/ ٣٤٢. HAT الوثائق العثمانية).